

## رواية تنكرد

للعزير الشهير اللورد بيكسبلد

القسم الثالث . الفصل الاول

تقلص نور القمر عن بستان الجثمانية وقبر ايشالوم ومياه قدرون ووادي ابن هنوم ولكنه بقي مشرقاً بجباله وجلاله على اسوار اورشليم وابراجها واتاجنها . هناك جبل صهيون وعلى قمته برج داود وامامة برج المورياً وعليه هيكل اله ابرهيم الذي بناه له اولاد اسمعيل اورشليم في نور القمر . ياله من منظر بهيج عدا ما فيه مما بهيج ذكرى العصور الغابرة . مدينة حصينة قامت حولها الاودية مقام الخنادق

وغاب القمر وراء جبل الزيتون فزاد اشراق الكواكب فوق اورشليم ومرّ النسيم على سهل شارون فسمع السرو زفراته وارتعدت منها فرائص الفخيل . أهو صوت النسيم او انين الانبياء ينوحون على مدينة عزّ عليهم اتقاذاها . ارض اختارها الله لسكنائه لا تقارفا ارواح انبيائه . من هذا الجبل ومن طور التجلي اطل رجال اسرائيل على مدينة العجائب . رجال كفاة وحكام يفاخر بهم في كل العصور . المشرع الذي قام في عهد القراعنة ولا تزال شريعته ثابتة الارقان . والملك الذي اشتهرت حكمته في الخائفين ودان له الانس والجان . والمعلم الذي جاء بالعدل والرحمة وبنيت على تعاليمه دعائم العمران . اعظم مشرع واعظم ملك واعظم مصلح . اي امة من الامم الحاضرة والغابرة تباهي بثلاثة مثل هؤلاء

أطلق المصباح الاخير في بيت عنيا واتقلب النسيم ريحاً عاصفة وسدل الضباب على وجنة السماء فاحتجبت به الكواكب وشاب برج داود عن الابهار وحيبت الظلة الحرم الشريف اما كنيسة القيامة فلم يزل النور فيها . على مبنيت مستتيرة وقد مرت بهرة الليل ونام القانتون والزهاد الحرس التركي في دار الكنيسة وفي داخلها راهبان من دير الافرنج قائمان على حراستها وبجانب القبر شاب شجاعاً على ركبتيه لما غابت الشمس وبات الليل كله جاثياً وهو ليس من اللاتين ولا من الارثوذكس ولا من الارمن ولا من الموارنة ولا من التبط ولا من الاحباش . آتى من جزيرة بعيدة في اقصى الشمال ليجد عند قبر المخلص الذي جاء من نسل ملوك اسرائيل . ولكن لماذا جاء هذا الشاب وحده وعلى م كان اسلافةً باتون زرافات الى الارض المقدسة قبل عصر العلم والاختراع . فان الارض المقدسة لم تزال مقدسة وهي ارض النبوة ومهبط الرحي ارض الانبياء والرسل الارض التي من جبالها كلم الله بني الانسان

بدعي جمهور من الاوربيين ان بلاد الشام مثل غيرها من البلدان . وقد غار بعضهم من الاسرائيليين وقالوا كيف يكون اهل الهدى والمرشاد منهم . وقام ابنا اعظم ملكة من ممالكهم واقفلوا الكنائس وقتلوا القسوس وزعموا ان الدين حديث خرافة لكن ساء فآلمهم وحبطت اعمالهم وعادت البلاد الي عبادة اعظم من قام من الاسرائيليين وخصت اعظم معبد من معابدها بامرأة من العبرانيات

والبلاد التي جاء منها هذا الشاب الجاثي امام القبر المقدس لم تجاهر بعداوة التوراة والانيجيل ولكن اهلها الذين ازسولوا ملكهم ونجبة امرائهم لانتاخذ الارض المقدسة منذ ستمئة سنة عدلوا عن هذه الخطة الآن ولم يعد لهم هم الا توسيع المتاجر وانشاء سكك الحديد ولقد حبطت مساعي الصليبيين لانهم جاؤا الارض المقدسة وهم يتهمون العرب بالاحاد والعرب اقرب منهم الى من جاؤا لانتاخذ قبرهم كلهم ابنا ابراهيم وهم مأمورون باقامة التوراة والانيجيل . وستبقى اورشليم ابد الدهر تابعة لابناء عيسو او لابناء اسمعيل . واذا حاولت الممالك الاوربية ان تقيم عليها اميراً من ابناها حل به ما حل بملوك القدس الاوربيين

### الفصل الثاني

قرب باب صهيون شارع متقدّر البيوت قائمة على جانبيه لا كوة فيها ولا شرفة لها . في كل بيت منها دار قد تكون فيحجة لا يدل ظاهرها على ما فيها من دلائل الرفاه والرفاعة دخل رجل لابس اللباس السوري باباً من ابواب تلك البيوت ومرّ في الرواق الذي يحيط بداره ومنه في سرداب يندّ الى دار اخرى في وسطها حديقة غناء فيها اشجار الليمون على اختلاف انواعه ويحيط بها غرف كثيرة وفي آخرها سرداب آخر ودرج يصعد منه الى غرفة رجة معقودة السقف منقوشة الخشب على جانبيه من جوانبها الاربعة ارائك من القدس وارضها مرصوفة بالرخام وعليها كثير من البسط الفارسية . وعلى الاراتك رجال بالحلل الشرقية يدخنون التبغ اللاذني او التباك الجمعي وكلما كاد التبغ يفرغ من حبر واحد منهم صفق يديه فجاءه غلام زنجي ملاً الحبر بالتبغ ووضع عليه جذوة نار

وصاحب المنزل متكئ في صدر الغرفة وهو طويل القامة طلق الحياً ناهز الخمين ولكن لم يخلق الدهر ديباجته ولا ابقى شيئاً من الاسارير في جهته كبير العينين واسع الجبين اتنى الانف صغير النم اسيل الخلد مثل كثيرين من الذين ترام في سواحل الشام وبلاد اليونان رغمًا عما اتاب البلادين من نوابب الدهر . هناك الجمال الفائق . هناك على مقربة من البلاد

التي كان فيها القردوس تجد اناساً مثل هؤلاء تشرق عليهم شمس الارض المقدسة ويشربون ماءها ويستشقون عواذها . وكان عن يمين صاحب المنزل تاجر مصري اسمه شريف افندي يدخن التبغ بقصبة من الياصين وهو عربي الاصل اسم الوجه معتم بهامة بيضاء وكان جالساً منتصباً كأنه قائم للقضاء وعن يساره رجل متكى وقد تدثر حتى لم يبق منه شيء وبجانبه رجل نحيف الجسم يرتاق العينين شائب اللحية معتم بهامة سوداء دليلاً على انه اسراييلي واسمه باريزي ويلقب بباريزي البرج لانه ساكن قرب برج داود تمييزاً له عن ابن عمه الملقب بباريزي الباب لانه ساكن قرب باب صهيون . وهناك رجل ارمني من الاستانة يدخن التبغ بقصبة من الكرز ورجل فرنسوي من البارجة الراسية في بيروت

لما وصل الرجل الى هذه الغرفة خلع حذاءه عند الباب ودخل وسلم فردوا له السلام ودعوه الى الجلوس بجلس وصفق صاحب البيت فدخل غلام يدوقصبة وتبغ . اسم هذا الرجل بسكواليجو وهو من البنادقة الذين يترددون على المشرق وقد اقام فيه فضلاً مدة طويلة وابته قنصل في يافا وهو مقيم في القدس . لما استقرت يد المجلس قال اتانا سانج كبير نور كنيسة القيامة من المراء الى الصباح واقام الحرم في الدار ولم يسمح بدخولها الا للرئيس الاسيافي واثنين من الرهبان . ولعله دفع للدير عشرة آلاف غرش . مضى زمن طويل من حين اتانا سانج لاتيبي حتل هذا

فقال الباريزي بلغني انه ليس من اللاتين . وقال الارمني انه ليس من قومي لانه لو كان منهم ما دخل الكنيسة مع رئيس اسباني . فقال بسكواليجو لو كان ارمنياً من قومك ما دفع عشرة آلاف غرش وقال الباريزي ولا هو يوناني ولكنني اعلم عن ثقة انه انكليزي من اخوة الملكة . فقال بسكواليجو لقد ظننت انا ذلك ايضاً حالما بلغني انه انكليزي . فقال له صاحب البيت من الملكة انه انكليزي . قال خدمه اخبروني . وقال الباريزي ان معه جنرالاً انكليزياً لرئاسة رجاله وهو رجل ظريف يقضي نهاره في دار القنصلاتو . وقد استأجروا بيت حسن نجد بجمعة آلاف غرش في الشهر

فقال شريف افندي اذا هو انكليزي بلا شك . وقال الباريزي وهو قتي صغير السن اصغر من الملكة ولذلك آل الملك اليها لان ولاية العهد للاكبر حسب شريعة الانكليز ولو كان امرأة

ولم يستطع احد ان يعارض الباريزي لانه كان ثقة في هذه الامور . ثم قال الارمني اذا بقي هذا الشاب يتفق امواله على هذه الصورة اقلس مريعاً لان القدس اغلى من استانبول .

فقال له صاحب البيت لا خوف من ذلك لانه جاءني بكتوب توصية بأمرني ان ادفع اليه  
سهما طلب من المال

فرفع الرجل المتدثر الفطاء عنه وقال من هو هذا الرجل يا بشو ( وكان هذا المتدثر شاباً  
جميل المنظر ازرق العينين )

فقال بسو هو لورد انكليزي ومن اعظم امراء الانكليز

فقال الشاب وعلى م جاء الى هنا ولم نعهد الانكليز يأتون سياحاً

فقال بسو ولكنه اتى للسياحة كما ترى

فقال الشاب ومن ادراكنا ان هذه السياحة ليست سياحة فان ام الشمال لا ترى لها شأناً  
الأ في المشاكل السياسية ولكنك لست من رجال السياسة لتعلم ذلك

فقال بسو قد يكون الامر كما قلت ايها الامير لكني لست من رجال السياسة كما شهدت لي

فقال الشاب يا حبذا ذلك فانه خير لك ولنا ولكن انظر هذا الرجل شريف اندي فهو

فهرمان كبير وقد وعد بان يهرب لي عشرة آلاف بنديفة يستلمها منه البدو ويوصلونها الى الجبل

فما قولك في ذلك أخبر به ابنتك واسألها عن رأيها فيه

فقال بسو اذاً قد تم كل شيء على حسب مرامك

فقال الشاب كلاً لاني شريف اندي لا يلجني البنادق ما لم ادفع له ثمنها والبدو لا

بنقلونها ما لم ادفع لهم عشرة آلاف غرش غبداً لو كتبت تدفع لهم عني وطرح ذلك من الفرض

الذي ساقترضه منك على حساب الجبل. اظنك تتعل ذلك يا اخا المروءة لانه ليس لنا غيرك

فقال بسو ان اشغلاً مثل هذه لا افضيها بعد غياب الشمس

### الفصل الثالث

الاديرة من أكبر مباني القدس في هذه الايام اعظمها ثلاثة دير اللاتين المعروف بالتراً

صنطا ودير الارمن ودير الروم وهي مباني ضخمة واسعة كالتصور وحصينة كالتقلاع يسع الواحد

منها خمسة آلاف سائح

لما وصل تنكرد الى القدس نزل في دير اللاتين فأعطي غرفة صغيرة فيه . والان تراه

فيها يحاول تدخين التبغ وخادمة الايطالي باروني راكم امامه على ركبة واحدة يصلح له التبغ

في الحجر. قال تنكرد قد صرت احب التدخين . فقال باروني لا بد ان تحبه يا مولاي لانه

لازم في هذه البلاد لزوم اللبن للطفل وهذا التبغ من اللاذقية وهو من اجود الانواع اخذته

من السبور بسوحينا ذهب اليه بمكتوب مبادتكم . قال ذلك ونهض قائماً وهو شاب سني  
الثانية والثلاثين من عمره ربة بين الرجال نحيف الجسم اسود اللحية اقنى الانف ايض  
الاسنان براق العينين لابس لبس الممالك سراويل واسع ومنطقة بيضاء فيها خنجر وعلى رأسه  
عمامة بيضاء . ثم اشعل شبقه وجلس على الارض متربعا

فقال له تنكرد ماذا فعلتم بالبيت . قال سينقلون اليه اليوم كلهم . فقال تنكرد اما اننا  
نافضل البقاء هنا لانني اريد الرحلة . فقال باروني انهم كلهم على تمام الرضى والكونول يلزم  
التصلاتو وهو يتعدى هناك كل يوم ويقص عليهم اخبار الحروب التي شهدها كما كان يقص  
علينا في البحر . والمستر برنارد يلزم المطران الانكليزي وهو مسرور به لانه زاد عدد الحضور  
في الكنيسة فانهم قلال جداً فنصل انكثرا وقنصل بروسيا وخسة من اليهود تنصروا على شرط  
ان يأخذ كل واحد منهم عشرين غرشاً في الاسبوع وقد بلغني انهم استقلوا هذه الاجرة وطلبوا  
الزيادة . اما الطبيب فشغول جداً وقد دعاه الوالي لمشاهدة حرمه فحس بض كل نائيه من  
وراء الستار ولم يره وجه واحدة منهم واظن ان صندوق الادوية قد الآن

فقال تنكرد لا يهمني الا ان يكونوا على اتم الراحة اما انا فلا بد لي من الذهاب الى  
بستان الجسائي

فقال باروني هو منا على رمية مهم نقصي اليه من باب صهيون وتقر في مقبرة الاتراك  
وتعب وادي قدرون فيجد نفسك في بستان الزيتون  
فقال تنكرد يظهر لي انك تعرف المكان جيداً

قال نعم فقد زرتة عشرين مرة واتيبت الى هنا ثمانين مرات سنة ١٤٠٤ و١٤٠٥ مرتين من انكثرا  
وست مرات من مصر تلك ايام مضت ولو عمل الباشا بشورة الميوده صيدوني لرأيت الغرائب  
في هذه المدينة

تنكرد - متى زرت هذه المدينة اول مرة

باروني - لما زارها الميوده صيدوني فاني اتيبت معه من نابلي منذ ثمانين عشرة سنة

تنكرد - اذاً كنت صغيراً جداً حينئذ

باروني - نعم وكنا سبعة ولكن لم يبق معه غيري لما اتم سياحته بعد خمس سنوات

تنكرد - وماذا جرى للباقيين

باروني - مرضوا او تكاسلوا فطردهم من خدمته ولم اره اشد منه . اذا كان في قلب

الصعراء وابدى واحد منا اقل تضبير اركيه جملاً واستاجر قبيلة كاملة لارساله الى القرب

مدينة واعطاها تحويلاً على النيرور بسو ليدفع اليها الاجرة

تنكرد - أو لم تعرض انت

باروني - كلاً وقد كانت خمس سنوات قضيتها في السفر والتعب ولكنها علمتني كثيراً  
وبعد قليل قام تنكرد وباروني وخرجا من باب مهبون فلم يربا احداً في طريقهما غير  
الحرس لان الوقت كان الظهر وكان الجو شديداً لا يطاق والشمس في كبد السماء فلا تاتي  
للالجسام ظلاً لتسريح العين برؤيته . واشاز باروني الى اشجار كبيرة من الزيتون وقال هناك  
الخشمانية والطريق التي الى اليمين توصل الى بيت عنيا . فقال له تنكرد " دعني وحدي " .  
لانه اراد ان يزور ذلك المكان وحده فترجل من جبل مهبون وعبر وادي قدرون ودخل  
البتان المقدس

### الفصل الرابع

مالت الشمس الى المغرب وانكسرت سورة الحمر وعلى الطريق قافلة آتية الى المدينة المقدسة  
فيها جمال كثيرة واناس بالحلى والحلل . والعلم العثماني يمتدح فوق برج داود والموسيقى العسكرية  
تصدح في رجته والوالي خارج بفرسانه والنساء صادرات من شرابوب وجرارهن على رؤوسهن  
رأى تنكرد ذلك وهو عائد من بتان الخشمانية وقد لاحت الشمس بجهة بعد ان اقام  
فيه بضع ساعات في حالة البهتان . فتردد في اذنه قول باروني له ان الطريق التي الى اليمين  
توصل الى بيت عنيا فقال في نفسه على ما لا ازورها قبل رجوعي فخرج اليها ونظر الى ماحوله  
من الآكام والوهاد وكل ما فيها يذكره بامور سلمت في تاريخ شعب الله ورجالها وانبيائها .  
نظر فرأى امامة المدينة العظيمة التي حاصرها ملوك اشور وفراعنة مصر وقياسرة الروم وصلاح  
الدين وقلب الاسد . اسيا واوروبا اختصتا عليها ادهاراً كثيرة . فقال في نفسه هنا تاريخ العالم  
وام العالم هنا تاريخ الارض والسماء

وسار جنوبي جبل الزيتون الى ان صار على رأي من قرية منفردة بين الآكام تنفرج  
الارض امامها وتطل على الاردن حيث يقادر واديه الاخضر ويصب في البحر الميت . ورأى  
امامه بتاناً كبيراً يحيط به سور عال تعلو فوقه اشجار السرو والتخيل وكان بابه مفتوحاً فوقف  
امامه ينظر الى ادواحه وسمائله وكان قد ورث حب الازهار والرياحين عن امه فلم يسه الآ  
الدخول اليه فشى الهويتا وهو مقتون بما شاهده فيو من جمال الطبيعة وحسن الصنعة الى ان  
بانح عريشاً من الورد والياسمين وسمع خرير الماء وغناء البلابل فنظر الى ما وراء العريش واذا

هر يرواق من المرمر تحته فسقية يدفق الماء منها فدخل الرواق وجلس على حصى مبسوط في  
ارضه وشرب من الماء الجاري فيه وكانت الشمس قد خدّرت دماغه وران الكرى على اجفانه  
فوضع ذراعاه تحت رأسه ونام. وللحال انسدل شعره الذهبي على وجهه وكتبه فظاهر كالصور  
التي يتخل بها المصورون الملائكة الاطهار

واستيقظ بعد هنيهة وحاول مد يديه فاذا شيء يغطيها ويغطي رأيه فنظر واذا هو  
بملاءة من الحرير المزركش فالتفت الى ما حوله مدهرثاً فرأى فتاة جالسة امامه  
فتاة بديعة الجمال طويلة القامة مشوقة القد عليها ثوب من الحرير الاصفر مزركش بالذهب  
ازرته من الجواهر وفوقه رداء من المخمل له رندان طويلان مفتوحان تظهر ذراعاها منها  
كقطعتين من العاج. وعلى رأسها عراقية منقطعة باللؤلؤ الناصع البياض تسترسل من تحتها  
غديرتان عصمتها بدبايس الجوهر ولولا ذلك لياغت الارض لطولها

جمال شرقي لا مثيل له الا في جنة عدن كأن حواء اوصت لها به قبلاً سقطت. رأس صغير  
ووجه مستدير وشعر بين الاسوف والاشر برراق كشمير الاوريات ومهلل كشمير البديوات. لكن  
جمال المشرق في العينين والحاجبين هناك الدمع والتجل والتكحل والحور والوطف والرجع والبعج<sup>(١)</sup>  
هناك سحر العين ونبل قوس الحاجب. انف دقيق قليل الشمع ونغر صغير واسنان كاللؤلؤ النضيد  
هذه هي الصورة التي وقعت عليها عين تنكرد. وكانت الفتاة جالسة على الجانب المقابل من  
السقية تنظر اليه صامتة فاراد الاعتذار عن جرأتها في الدخول الى بستانها ولم يتظار حتى  
ينهض بل يادرها بالكلام قائلاً اصحني يا مولاتي عن جرأتي

فاشارت اليويدها لكي يبتقي في مكانه وقالت له نحن هنا قرب البادية فضيفا الفرب فرض علينا  
فقال لما وقع نظري على التخل في هذا البستان حدثتني النفس بالدخول فدخلت وراقني  
هذا الينبوع تجلست بجانبه ولا اعلم كيف غلبي النعاس  
فقال فعلت بك شئنا كما فعلت بكثيرين قبلك وكنت امشي في البستان مع جواري  
فرايتك وحننا ان يصيبك الرعن<sup>(٢)</sup> لان الشمس كانت على رأسك فغطت واحدة منا بجلاتها. اذا  
اقت في هذه البلاد فلا بد لك من العمامة

تنكرد - هذا فردوس لابستان ولم يحظر بيالي قط ان اجد بقعة جميلة مثل هذه بين  
الجبال القاحلة ولكنة جدير ببيت عنيا

(١) الدمع دة سواد العين مع سمة الخلة والتخل سها، والتكل سواد جنونها، والحور اتساع سوادها،  
والوطف طول اشعارها - والرجع دقة الحاجبين وامتدادها - والتكحل ان يكون بينهما فرجة  
(٢) الرعن ضرب من الشمس.

الفتاة - انتم الافرنج تخبون بيت عنيا جاً مفرطاً  
تنكرد - كيف لا نحبها وهي تعيد لنا ذكرى امور عزيزة لدينا ذكرى المخلص وامو  
الفتاة - نعم وانتم تسجدون لهذه المرأة وتبهدون ابنها وكلاهما من اليهود  
فنظر اليها تنكرد مدهوشاً وقال وقد صبغت حمرة الخجل وجنتية أو لا تعبدنه انت  
ايضاً . فقالت بخجل لي احبائنا اني اكاد اعبده لانه من ابناء امي والمره مفطور على  
حبه ابناء امي

تنكرد - اذا انت يهودية

الفتاة - نعم انا من اقرباء مريم البتول التي تكرمها ولو كنت لا تسبها  
فصمت تنكرد قليلاً وهو ينظر اليها ثم قال يا حبذا لو قرأت سيرة ابنها في كتابي  
الفتاة - قرأتها فقد اعطاني اياها مطرانكم واظننا مكتوبة كلها بافلام اناس من اليهود  
وقد رأيت فيها اشياء كثيرة اعجبني ولكن تعاليمها لا تنطبق على سيرتك في هذه الايام ولا ازي  
لي مرشداً يرشدني الى فهمها

تنكرد - عندنا المرشد وهو الكنيسة

الفتاة - اي كنيسة فان عندنا في القدس كنائس كثيرة كنيسة اللاتين وكنيسة الروم  
وكنيسة الارمن وكنيسة الموارنة وكنيسة القبط وكنيسة الاحباش وكلها متخالفة متناقضة  
ولذلك ارى الاصلح لي ان ابق في كنيسة اقدم منها كلها الكنيسة التي ولد فيها السيد المسيح ولم  
يخرج منها فانه ولد يهودياً من بيت داود كما تعلم . واود ان اعرف ما هو رايتك في اليهود ولماذا  
هم منقشرون الآن في الدنيا

تنكرد - احسب ان انتشارهم عقاب لهم لانهم رفضوا المسيح وصلبوه

الفتاة - ومن عاقبهم به

تنكرد - هم عاقبوا انفسهم بقولهم دمه علينا وعلى اولادنا

الفتاة - هل شريعتكم تبع للذنب ان يعاقب نفسه ومن ادراكم ان الحق سبحانه وتعالى  
قبل بما فرضوه على انفسهم من العقاب . فليس في كتابكم ما يثبت ذلك بل فيه ما يناقضه فقد  
جاء فيه ان المسيح صلي الى الله لكي يفر لهم . ولكن حب انه لم يصل او ان الله لم يستجبه فان  
الذين قالوا دمه علينا وعلى اولادنا هم عامة الشعب فهل هم نواب الامة وهل يقبل حكمهم على  
امة كبيرة . وقد كان في البلاد كثيرون يكرمون المسيح ويميلون الى تصديق دعوتيه فكيف  
يؤخذون هم واولادهم بجريرة الذين قالوا دمه علينا وعلى اولادنا . وقد نقول ان اولئك تصرفوا



فجروا من العقاب فاقول سنأنا بذلك جدلاً ولكن بني اسرائيل اثنا عشر سبطاً عشرة اسباط منها تشتت قبل مجيء المسيح وقد يكون أكثر اليهود الآن منها لا من البيطين الباقين فما شأنها والصلب

تنكرد - ان مسألة الاسباط العشرة مسألة عريضة جداً فقد ظن البعض ان الافغان منهم ولكن المرجح انهم انقرضوا او امتزجوا بغاليبهم حتى لا يمكن اقتضاه آثارهم الآن  
الثناة - هذا ضرب من الحال لان اليهود لا يترجون بغاليبهم وقد فُتحت بلادهم مراراً مثل كل البلدان الغنيرة التي تحيط بها بممالك كبيرة . فان بلاد الشام كانت داراً للحرب قروناً كثيرة . ولم تفتح اورشليم عنوة أكثر مما فُتحت اثنا لكن شعبها اظهروا البسالة الشديدة وجاهروا بالعصيان مراراً واخيراً أُجلاوا من بلادهم . وقولي ان أكثر اليهود المنتشرين الآن في الدنيا هم من الاسباط العشرة ومن جالية اليهود الذين أُجلاوا قبل المسيح عليه أدلة تاريخية كثيرة . ولكن هب ان اليهود المشتتين الآن في العمرة هم من نسل اولئك الذين قالوا دمه علينا وعلى اولادنا تبقى مسألة اخرى وهي مسألة يهود البادية وبلاد العرب فان جدي لآبئ شيخ من مشايخ العرب وقبيلته من أكبر القبائل وهو يهودي وقبيلته كلها يهود وعندما اسفار موسى الخمسة وهم يسكنون الخيام نهل كانوا في اورشليم وقت الصلب . وامي تزوجت برجل حضري من سكان المدن يتحى ان يجلس على عرش سليمان . وهناك فتى يوناني يبيع الثين في اسواق ازمير اذا رأى ابي مارة في الشارع ابعد عنها لكي لا يتحس . لم ار ذلك في كتابكم لان الذين كتبوه كانوا من عقلاء اليهود اما انتم فقد بدمتم عنهم بعداً شامعاً

وكانت تشكلم بذلك ويكاد الشرر يتطير من عينيها وقد صبغت حمرة الحمة وجنتيها فنظر اليها مبهوتاً لانها كادت تعرب عما في ضميره . فقال لها انك تشكلين عن امور تهمني كثيراً ولولاها ما رأيتني في هذه البلاد . ولكن هذا التشتت امر واقعي مهما كان سبباً ولا بد من انه العجوبة الهبة فان اليهود هم الشعب الوحيد من الشعوب القديمة المنتشرة الآن في كل المسكونة فقالت قد يكون تشدثهم العجوبة من غير ان يكون عقاباً لهم ولكن لماذا تعدم العجوبة . فقال لان احتياهم الطويل لهذه الحالة لا يكون بقوة بشرية . فقالت فمن لا ننكر ان الله بدأ في كل شيء ولكن ليس احفظ للشعب من تشدثيه فان الشعب المغلوب يقتدي بالغالب ويمتزج به واما الشعب المشتت فيحافظ على نفسه وعاداته . وقد اصاب الارمن ما اصابنا والارمني يقول ان لي بيتاً في كل مدينة من مدن المشرق . والارمن أكبر مناظرنا وهم يشبهونا في المهمة والاجتهاد ولو لم يولد منهم رسل وانبياء مثلنا

نقال تنكرد - ولكن الارمن لا يوجدون الا في بلدان المشرق  
فسمعت وقالت اذا انت تحسب العقاب انما هو في اجلائنا الى اوربا . اظنك مصيباً . اما  
انا فلا اعرف بلادك غير انه لما قم علينا السلطان بسبب مساعدتنا لوالي مصر اضطرت ان  
امضي الى فينآ . واما على تلك الايام فكنت اغنى الرجوع الى بلادي  
تنكرد - الى هذا البستان الجميل في بيت عنيا

الفتاة - لم يكن هذا البستان في حيز الوجود حينئذ فاني غرسته بعد رجوعي وبنيت فيه  
بيتاً صغيراً يطل على البرية حيث جدي وقبيلة امي . ولكن ارجو من فضلك ان تخبرني لاي  
شيء المقام الاعلى عندهم في اوربا

فسمعت هتية ثم قال وقد احمررت وجنتاه خجلاً يظهر لي ان المقام الاعلى للال  
الفتاة - وما هي المدينة الكبرى في اوربا  
تنكرد - لندن قصبة بلادي

الفتاة - هي اكبر من فينآ ولكن هل هي اكبر من باريس  
تنكرد - نعم هي ضفا باريس حجماً

الفتاة - ما اكبرها . من هو اغنى انسان فيها هل هو مسيحي  
تنكرد - كلاً بل هو اسراييلي مثلك

الفتاة - ومن هو اغنى انسان في باريس  
تنكرد - اخو الغني الذي في لندن

الفتاة - اما فينآ فلا اسألك عنها لاني اعلم ان امبراطورها جعل ابناء شعبي من امراء  
ملكوتها حاسباً انهم عابدا . فانت ترى من ذلك ان هذا العقاب لم يضر بامة اليهود في اوربا  
ولو كنتم قد اضطهدتموها جهدهم . قالت ذلك وقامت وتوازت عن عينيهِ قبل ان يجيبها  
عن كلامها

فوقف هتية مدهوشاً حائراً في امره لا يدري ما يفعل وهو يحسب انه يرى حلقاً واذا  
بجماعة من الغلمان اقبلوا عليه ومعهم اطباقي من الابنوس مرصعة بالذبل وعرق اللؤلؤه وعليها  
صحاف الطعام فوضعوها امانه ودنا واحد منه وربط له حول عنقه مندبلاً من الكتان الابيض  
المطرز بالذهب ثم وقفوا متكئين فقال لهم انه غير جائع ولا حاجة به الى الطعام فلم ينهضوا  
كلامة بل وقفوا صامتين كالاصنام فاكل قليلاً مما قدموه له ثم اشار اليهم ليرفعوا الطعام  
فرفعوه وعادوا من حيث اتوا وهو ينظر اليهم ويفكر في ما رآه وسمعه من الفتاة . ثم جاءه

غلامان آخران بالقهوة فشربوا والتفت فرأى الشمس قد توارت بالحجاب فقال لا بد لي من الانصراف فقام وخرج من البستان وكانت حمرة الشفق قد صبغت جبال اليهودية وارتد نورها الى ما بينها من الاودية والشعاب وهب النسيم من بركة الاردن فلطفت حر الهواء واخذت النجوم الكبرى لتتلاها في كبد السماء. مشاهد يديعة في مساء نهار شاهد فيه العبر. من تلك النشأة. جمال لا يطعم المصورون ان يفتقروا بابداع منه جبين يعجز فائيل عن الاتيان باجمل منه. اعتدال قدره ودكاه فؤاد وتوقد ذهن وعلم وصدق وإخلاص وبعد عن التيه والهوى. حجة قوية وصوت رنان وعجالة لطيفة واهتمام بأهم المسائل لا غنج ولا أضغ ولا شيء مما يشين بل كل ما بدا منها شريف نبيل. في هذه الامور وهذه المناقب كان تنكرد يفكر وهو راجع من بيت عينا. كان يمضي هنيئة ثم يقف ويشخص الى الجبال والافاق فوقها فيراها قد لبست حلة الارجوان وليس نطاقاً من النصار وفي لحظة تعود به الذاكرة الى البستان والرواق والنشأة وهي جالسة امامه تتجاهه وتناظره. فارعلى هذه الصورة غائصة في بحار الافكار واذا هو بصوت يتاديه ان قف وحد من الطريق فالتفت واذا هو بقارض لايس لباس المالك علي جواد عربي مطهيم وامامه غلام يحمل نارجيلة وبنديفة والفارس مدجج بالصلاح الكامل سيف وقربنة وفردين وهو الامير الذي كان في بيت بسو اليهودي على ما ذكرنا في فصل سابق فالتفت الى تنكرد وظل سائراً في طريقه

هذا ولعد الى البستان والنشأة فانها لما خرجت من الرواق سارت مع جواربها اللواتي كن ينظرنها وراية الى ان بلغت بيتها وهو غرف كثيرة يحيط بها رواق كبير فصعدت الى الرواق ودخلت البيت فقام الجواربي في اكراماً لها واجلالاً الي ان وصلت الى غرفة كبيرة يديعة النقش والزخرفة فيها ديوان من الحرير الوردى وبساط كبير يغطي ارضها وفي وسطها مسرحة من المرمر قائمة علي ثلاث اذاعي من الخالص حولها مقاعد وثيرة تغامت جذاهاها وجلست على الديوان وجاءت احدي الجواربي بمصباح من الفضة وغمته على المسرحة وجاءتها اخرى بكؤوس فيها من فاخر الشراب المصنوع من عصير الاتمار فشربت قليلاً واتكأت على الديوان وللحال اتت جارية اخرى بكتاب وجلست بجانب المسرحة وجعلت تقرأ وبعد قليل ازعج النار عن الباب ودخلت امرأة وتقدمت الى النشأة واسرت في اذنها ثم عادت وللحال دخل عبد دقلاوي طويل القامة فسلم ووقف امام النشأة وجعل يتكلم بصوت منخفض فامرته الجواربي فاتيها بدواة وقرطاس فكتبت سطرين في رقعة ودفعتها الى البدي فقبل هذب ثوبها وخرج. فان الامير الفارس الذي التقى به تنكرد وصل الى بيت عينا حيثئذ وطلب ان يرى النشأة فاذنت له

بالحضور ولم يكده العبد يخرج من حضرتها والقرطاس في يده حتى ازيح الستار ودخل الامير فرحبت به وقالت له منى اتيت من الجبل يا نحر الدين . فقال اتيت اس وقد احبط القناصل مساعينا كلها واوقفوا الحرب بعد ان اتقتت عليها مئة الف غرش . واضطرونا ان ننزل الى بيروت ونضفي شروط الصلح فرأيت ان اجاريهم خوفاً من القتل والقتال اما الحركة فلا تزال علي حالها والمشاكل تزيد تعقيداً ولكنني قد وقعت في مشكل جديد

النتاة - هذا شأنك واي مشكل لم تقع فيه

الامير - وقد اتيتك لكي تخلصيني على جاري العادة ايها الاخوت العزيزة وما دمت انا استنبط المشاكل وانت تساعدني في حلها فالنور لنا وقد بدت تباشيره

النتاة - لم تقرب شي حتى الآن ولكن هات فيص علي ما عندك من اخبار الجبل  
الامير - كان كل شيء جارياً طبق المرام قبل هذا الصلح الملعون ولكنه لا بدوم الى المراقع فان الجبل كله في حالة الاضطراب الشديد والباب العالي مصر على الارباء والانكليز يعضدونه في ذلك ولا يقبلون ان يكون حاكم الجبل من الامراء الشهابيين  
النتاة - أهذه تباشير النور الذي تمني نفسك به

الامير - نعم فان عمي الامير بشير بيتي مبعداً هو واولاده وقد ارسات وعرضت عليه مئتي الف غرش سنوياً اذا اتبع الباب العالي انه لا يستطيع احد ان يسكن القلاقل في جبل لبنان الا امير من الشهابيين وانه هو واولاده مستعدون ان يتنازلوا عن حقوقهم لمن يعين والياً على الجبل من ابناء اعمامهم. وقد اتبع واحد من اخصائي رضى باشا انه ليس في الشهابيين من يدافع عن حقوق الدولة مثلي ولا اصلى مني لهذا المنصب للاسباب التالية  
النتاة - مالك والاسباب فان الباشا لا يقنع الا بالادلة المحسوسة

الامير - نعم وهذا اقوى الاسباب فاني قد وعدته بكل ايراد الجبل في السنة الاولى اذا حصل لي البراءة

النتاة - ولكن يجب ان تعلم ان امر رضى باشا معروف فالذي يسميه لا ينظر اليه دائماً  
بين الرضى

الامير - نعم وقد استدركت ذلك وابنت لم انه لم يبق غيري مسلماً من الشهابيين  
النتاة - انت مسلم ومنذ شهرين ارسلت المطران الى باريس ليترسط امرك عند الملك لويس بناء على انك من خاصة النصارى وانك حامي حمى الموارنة في جبل لبنان  
الامير - نعم كان ذلك لما كانت المياه جارياً في مجاريها في باريس اما الآن فقد انقلبت الحال

الفتاة - اذا كان الامر كذلك فلا امل لك بالنجاح لان الموارنة اقوى عناصر الجبل وفرنسا  
 تشد ازرهم وهم معتمدا في سورية وانت من محبة الشهابيين فلذا كنت مسيحياً وتأخذ حزب  
 الموارنة فلا شك ان فرنسا تعضدك واما اذا ارتددت عن النصرانية الآن فلا امل بالنجاح  
 الامير - لا يخفى عليك ان امير الجبل مضطرب ان يتولى امر النصارى والدروز والمناولة.  
 وبيتنا من اقدم البيوت وبيتنا يتصل بهم النبي وقد ملكنا هذه البلاد منذ ثمانئة سنة وتنصر  
 اسلافي لكي يكون الموارنة من حزبهم وهذا شأن الاوربيين كلهم فان الامير الذي يختار ملكاً  
 لبلاد مذهب اهلها يخالف مذهبهم بترك مذهبهم فعلى م لا يجوز لنا ما يجوز  
 لهم واذا رأيت الصدود من فرنسا فعلى م لا اتجهي الى الدولة واعود الى دين اجدادي .  
 والقابلية واحدة وهي الحصول على امانة الجبل فلا فرق عندي كيف حصلت عليها  
 الفتاة - اسأت يا نجر الدين فاني لا انهم كيف تعده نفسك اميراً وانت تستخدم ما تأباه  
 الشهامة وعزة النفس وكيف تمني نفسك بالنجاح وانت تتقلب مع الاهواء  
 الامير - ما تنع الامارة بلا مال افرضوني المال اللازم فقربي في منصبى غداً  
 الفتاة - لا يمكننا ان نعرضك غرضاً الا بعد ان نراك واليا على الجبل . والسند  
 الوحيد الذي كان يمكن ان تستند اليه هو فرنسا فان كانت فرنسا قد تحلت عنك فلا امل  
 لك بالولاية

الامير - ماذا تستطيع فرنسا الآن بعد ان اضطرت ان تترك المصريين ليعودوا الى  
 بلادهم . وقد كان خروجهم من سورية غاية متاي لانه عاد بالريل على عمي . ولم يبق لفرنسا  
 شأن الآن في سورية وكل ما كنت انتظره منها ان لا تعارض رضى باشا في اسميتي لهذا  
 المنصب . اما المطران فارسلته في الظاهر الى باريس وفي الباطن الى لندن ارسالته برسالة  
 الى وزيرائها ليقنعهم اني اسير على ما يتفقون فاسمح لمرسلي البروتستانت بالاقامة في الجبل  
 وانشاء المدارس والكنائس فيه حتى يأمروا سفيرهم في استانبول لمساعد رضى باشا على تعييني  
 لتصير فرنسا وانكلترا والدولة معي . وقبل ان وصلت القنصلية الى القنصلية لان وزير انكلترا  
 لورد ابردين اخذ الرسالة من المطران ولقها وارسلها الى الميو غيزو وزير فرنسا فحرب كل  
 البناء الذي بيناه

الفتاة - وسيجرب كل ما تبنيه لان الدسائس لا تثر

الامير - الدسائس الدسائس ماذا نعمل اذا اتظنين ان ابردين وغيزو وصلوا الى  
 منصب الوزارة بنجر دسائس . كيف نجح رضى باشا وكيف نجح محمد علي وكيف يفعل السفراء

وعندي الآن في داري جاسوس من جواسيسهم. نصف الملوك وصلوا الى عروشهم بالدسائس.  
والسياسة بلا دسائس ضرب من الخيال يا جرة

الفتاة - اذًا هذا هو المشكل الذي وقعت فيه فلا ارى كيف نساعدك على النجاة منه  
الامير - كلاً هذا ليس المشكل الذي اشترت البيرة فان مسألة فرنسا لا تمنحني لانني  
استطيع ان ادعي ان المطران لم يذهب من قبلي بل فعل ما فعل من تلقاء نفسه وزود  
الكتاب عن لساني وقد وعدني البطريك بالمساعدة في فرنسا وله هناك كلمة مسجوعة والموارنة  
كلهم سخطوا عريضة الى الباب العالي يطلبون فيها توليتي على الجبل  
الفتاة - افلا يتنازل الدروز من ذلك ويميلون على مقاومتك  
الامير - كلاً لاني ساكن عندهم وهم يجهلونني ويعدونني واحداً منهم ويعلمون انها  
حيلة على الموارنة

الفتاة - وماذا فعلت حتى اغماز الموارنة اليك

الامير - فعلت ما لا يحظر بيال ملك وعدتهم باستقلال الجبل . ألا تذكرين ان  
ابراهيم باشا جمع السلاح من الموارنة بعد ان اتبع الاكايروس بمساعدته في ذلك لكن الدروز  
لم يقموا في هذا الشرك فبقيت اسلحتهم معهم وتضايق الموارنة من جراء ذلك اي مضايقة  
ورأوا ان لا سبيل لهم لاسترداد الاسلحة فوعدهم بعشرة آلاف بندقية  
الفتاة - أنت وعدتهم بذلك

الامير - نعم فان شريف افندي المصري اشترى لي خمسة آلاف بندقية من البنادق  
الانكليزية وقد اتفقت مع عرب زوبلا على حملها الى الجبل  
الفتاة - حقاً ان عندك خاتم سليمان يا فخر الدين  
الامير - يا سجداً فكنت ادفع الى شريف افندي ثمن البنادق لانه لا يستطيع اياها ما لم  
ادفع له الآن مئتي الف غرش

الفتاة - اذًا هذا هو المشكل فاخبرني كم معك من هذا المبلغ

الامير - ولا غرش وقد بعثت كل ما كان عندي من الخيل والجواهر ولم يبق تاجر في  
بيروت الا استبدت منه فان رضى باشا مثل الاسفنج ينشف البحر اذا وضع فيه  
الفتاة - اذا كان البطريك راضياً عنك فالموارنة كلهم في يدك فما الحاجة الى الاسلحة  
لانك لست عازماً على الثورة

الامير - كلاً ولكنني اذا سلحت الموارنة اليوم نشبت الحرب بينهم وبين الدروز غداً

فيقتل بعضهم بعضاً ونقل البضائع الواردة من منشستر فيقوم تجار الانكليز ويطلبون من حكومتهم ان تبذل جهودها في تسكين الفتن وتولية امير على الجبل لإعادة الأمن اليه فيضطر منفيهم ان يضي الاسر بعيني للولاية لاجل سلام اوربا ونجاح الجبل

الفتاة - هل كنت ابي في ذلك

الامير - نعم كنته ولكنه غير ميال الى مساعدتي على ما يظهر

الفتاة - لقد ساعدك كثيراً

الامير - ويسهل عليه ان يساعدني ايضاً . ثم اسك يدها وجعل يتوسل اليها لكي تكلم اباها . وقال لها " انه لا يريد لك طلباً يا حواء كليله اكراماً للعبة اكراماً للصدافة كليله فانه لا صديق لي في الدنيا غيرك انت تعرفيني اكثر من كل احد وتعرفين طهارة قلبي ولو كانت معايبي كثيرة . فولي له انك اختي وانه هو مثل ابي واني احبك مثل اخيك وانك انت تحميني ولو كانت عيوبك كثيرة . كلما زاد فضل المرأة زاد انطافها على من تراه دونها لان ذلك يزيد في سطوتها عليه فعيرني الكثرة تشنع لي عندك وتدعوك الى مساعدتي " قال ذلك واخذت الدسوع تهطل من عيني

الفتاة - كنت احسب انك تتكلم بالهزل لا بالجد

الامير - كيف يهزل المرء في امر مثل هذا . وانت تعلمين ان غرضي لا ينال الا بوسائل كثيرة ومال واخر فكيف اناله وانا على ما تعلمين

الفتاة - اتركه اذا

الامير - اتركه بعد ان ورطت نفسي في الدين لاجله . امير مثلي لا يتترك غرض حياته او يموت . قال ذلك ونهض قائماً وجعل يمشي في الغرفة . ثم قال لها انت تعلمين يا حواء اني اخوك فقد ارضعتني امك كما ارضعتك واني احسب اباك مثل ابي . والدم الجاري في عروقك من لبن امك مثل الدم الجاري في عروقي وفوق ذلك نحن من اصل واحد فان العرب اجدادي من نسل اسمعيل وانتم من نسل اسحق وها اخوان فاتت اختي وابوك مثل ابي وتجه منا كيتا قرابة النسب ولو كان بعيداً

الفتاة - مما كانت نسبك الى ابي فانا لا يمكنني ان آكله في شأنك بعد ان جرى ما جرى لاني وعدته وعداً فاطمناً ان لا آكله في امرك فلا تطلب مني يا نافر الدين شيئاً لا استطيعه

الامير - انت ممتاخلة مني وتحسين اني لا اهمهم الا باسم نفسي والحقيقة انني طالب اسمي المطالب واشرفها فقد كان يمكنني ان اتبع بيت ابي وما عندنا من الخيل والخدم والحشم

واعيش بعيداً عن الناس ولكنني اقول في نفسي لماذا يشتهر ابرهيم باشا وليس فيليب  
وبارستون هل هم ارفع مني نسباً وانا ابن شهاب . اين كان ابرهيم باشا والديون وبارستون  
لما كان جدي يحمل بيرق النبي  
الفتاة — مهما يكن من امرك فقد فرغت جمعتي ولم يعد في طاقتي ان اساعدك في شيء  
الامير — يمكنك ان تساعدني فاسمعي ما اقول لك . جاء القدس منذ عشرة ايام  
او حواليها امير انكليزي غني جداً حتى يقال انه اغنى من قارون ومعه مكاتب  
توصية الى ايك ليدفع اليه كل ما يطلبه منه . ولا احد يعلم غرض هذا الامير اما انا فارتاب  
في امره . وفي القدس الآن ضابط فرنسي من البارجة الراسية في بيروت اخذت اياه ليجلس  
اعمال هذا الامير وقد بلغني اليوم ان الامير ذاهب الى جبل سينا وما هو غرضه من الذهاب  
الى هناك الله يعلم لان الانكليز لا يجحون مثل النصارى ولا مثل اليهود . وراي ان اوعد  
الى قبيلة من قبائل العرب لتأخذوا اسيراً فناخذت فديته من ايك وتدفع عن البنادق وكل  
التفقات اللازمة لقلها الى الجبل فما ترك في ذلك (البقية تأتي)

## بلاغة العرب والافرنج

لمحضره الشاعر المحيد احمد انندي كامل

كتبت في مجلة المنتظف مقالة تحت هذا العنوان فانبرى للرد علينا اديبان فاضلان  
وهما خليل انندي ثابت والدكتور تقولا فياض وقد تأملت كلامهما واستخلصت منه هاتين  
المسألتين الآتيتين الجديرتين بالنقد والمباحثة والرد وهما  
١ — ان التعريب يذهب بهجة المعرب لان اللفظ ثوب المعنى يحسنه ويحسنه ويقيمه بقبه  
٢ — ان شعر العرب محصور في ابواب محدودة يقلد فيها الآخر الاول وانه بعيد عن الطبع  
الجواب عن المسألة الاولى — اتنا جملنا في مقالنا السابقة اركان البلاغة ثلاثة اللفظ  
والمعنى والموضوع . ولا ننكر ان اللفظ قد يسقط عن مرتبته بالترجمة بل ان هناك من ضروب  
التعبير والاستعارات اللفظية ما لا يمكن نقله من لسان الى لسان مثال ذلك قوله تعالى  
” ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم “ فان هذه الآية لما ترجمها  
مترجمو القرآن حرفياً أصبحت لديهم في معنى غير المقصود في العربية تماماً . وامثال ذلك كثيرة